العرب
الإثنين 2020/12/07
السنة 43 العدد 11904

بايدن أمام حقائق الواقع لتجنب حيل إيران النووية

الإدارة الأميركية الجديدة تحتاج رؤية للديناميكيات المتطورة في المنطقة بعيدا عن منطق الآمال والوعود

تطور الشرق الأوسط في السنوات الأربع، التي شغل فيها جو بايدن منصب نائب الرئيس الأميركي الأسبق باراك أوباما، ثم انتقلت المنطقة إلى مراحل متقدمة من التوتر في عهد دونالد ترامب وخاصة في ما يتعلق بسياسات إيران حيث ظهر معه أسلوب "الضغط الأقصى" بسبب برنامجها النووي، ومن المرجح اليوم ووفق المحللين، أن تحقق الإدارة القادمة المزيد من خلال إدراك كيف يمكن أن تساعد هذه التغييرات أو تعرقل أجندتها؟

الوقت لا يسمح بالمزيد من الألاعيب الإيرانية

واشنطن – حتى اللحظة، لا أحد يعرف على وجه اليقين كيف أن اغتيال إسرائيل لأكبر عالم نووي إيراني محسن فخري زادة، سيشكل آفاق العلاقات الأميركية مع طهران في عهد الرئيس المنتخب جو بايدن وما إذا كان "النظام الخبيث"، كما وصفه لورنس ج. هاس، وهو زميل في مجلس السياسة الخارجية الأميركية، سيسعى للتسوية أم أن النظام المتحدي سيضاعف مساعيه النووية وأذى المنطقة.

وعلى أساس أن المشكلة الرئيسية حاليا في المنطقة المضطربة، والتي لم تهدأ منذ أكثر من سبعة عقود، فقد باتت إيران هي محور اهتمام الجميع، وخاصة القوى الأكبر على مستوى العالم، بيد أن التهاون معها أحيانا من قبل الإدارات الأميركية التي رأت أن الحل الأمثل هو احتواؤها دبلوماسيا، ما جعلها تتمرد على القيود بمساعدة حلفاء لها، وحتى وإن كانت تدار في الخفاء.

لورنس ج. هاس

النظام الإيراني لا يزال قوة خبيثة داخليا وخارجيا

لكن اليوم يبدو أن بايدن عليه مواجهة حقائق الواقع التاريخية والتي لطالما انتهجها النظام الإيراني حتى يطور برنامجه النووي، وهنا تكمن التحديات في عدة نقاط شرحها هاس في تحليل نشره موقع "ذا ناشيونال إنترست" الأميركي باستفاضة وهي بمثابة الطريقة التي يمكن أن يتبعها الرئيس القادم في البيت الأبيض لمحاصرة طهران.

فهم أعمق للمشكلة

كان الرئيس الأميركي الجديد قد أكد مرارا وتكرارا أنه يخطط لإعادة الولايات المتحدة إلى الاتفاقية النووية العالمية لعام 2015 مع إيران –إذا وافقت الأخيرة على عكس المسار والالتزام بقيودها– والسعي للمزيد من المحادثات مع طهران لتعزيز الاتفاقية. والتصدي لأنشطة إيران الأخرى المزعزعة للاستقرار.

ويعتقد هاس مؤلف كتاب "هاري وآرثر: ترومان وفاندنبرغ والشراكة التي خلقت العالم الحر" أن ما يقوله بايدن في العلن أمر جيد، وذلك بالنظر إلى ما ركز عليه في حملته الانتخابية، فقط من أجل أن يكون مختلفا عن منافسه الجمهوري دونالد ترامب.

ولكن بينما يستعد بايدن لإطلاق أحدث تغيير في نهج الولايات المتحدة المتقلب رأسا على عقب للنظام الإيراني، يحتاج هو وفريقه القادم إلى رؤية طهران واللاعبين الرئيسيين الآخرين في المنطقة والديناميكيات المتطورة في ما بينهم من خلال العيون، وليس النظارات الوردية من الآمال الغربية.

وبالتالي، فإن بايدن عليه أن يترك الفكرة القديمة حول إيران حينما كان نائبا لأوباما، ويبدأ في شحذ جهوده مع فريق إدارته من أجل التركيز على أربع حقائق أساسية ستواجهها وهي تسعى إلى إعادة تشكيل العلاقات الأميركية الإيرانية.

ويرى هاس أن النظام الإيراني كما كان دائما لا يزال "قوة خبيثة" بطبيعتها في الداخل والخارج، فهو نظام مولود من ثورة أيديولوجية في حركته، ومهيمن في تطلعاته، وحاقد في سلوكه وهذه الدولة الشيعية، تسعى إلى زعزعة استقرار الحكومات السنية في المنطقة.

وليس هذا فحسب، بل وترعى الجماعات الإرهابية، التي تهدد البلدان الأوروبية والولايات المتحدة، وتسعى للحصول على أسلحة نووية وباليستية، وغيرها من الأسلحة لترهيب أو استخدام خصومها.

ولدى واشنطن وطهران قيم ومصالح مختلفة، ولن يؤدي أي قدر من الاسترضاء الدبلوماسي أو الرشوة الاقتصادية من الولايات المتحدة إلى تحويل النظام الراديكالي في طهران إلى شيء ليس كذلك.

ويكاد يجزم المحلل هاس أن الولايات المتحدة لن تحقق أكثر من سلام بارد مع إيران، وبالتأكيد ليس هناك أفضل من السلام البارد لانفراج بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وعليها أن تسعى لتحقيق أهدافها وفقا لذلك.

أما النقطة الثانية، فتتمثل في الصفقة النووية، التي تبدو غير كافية في شكلها الحالي، مما يثير التساؤل حول كيفية تعامل بايدن معها.

وإذا كانت خطة العمل الشاملة المشتركة لعام 2015، كما هو معروف رسميا، قد تم تصميمها لإغلاق جميع السبل الإيرانية أمام قنبلة نووية، فإنها تفعل ذلك –في أحسن الأحوال– بشكل مؤقت فقط، وذلك لأن جميع القيود المفروضة على الأنشطة النووية الإيرانية ستنتهي على مدار عقد تقريبا.

ويقول بايدن إنه سيعيد الانضمام إلى خطة العمل الشاملة المشتركة، التي تركها ترامب في 2018، ويسعى أيضا إلى اتفاق أقوى وأطول، لكن السؤال يتعلق بالتوقيت، فإذا عاد إلى الصفقة على أمل التفاوض لاحقا على خطة العمل الشاملة المشتركة، فقد يواجه طهران عنيدا قانعا باستغلال الثغرات الكبيرة في الصفقة الحالية أو انتظار انتهاء قيودها أو كليهما.

وربما، بدلا من الانضمام مجددا إلى خطة العمل الشاملة المشتركة الحالية، ينبغي على الرئيس القادم أن يسعى فورا إلى اتفاقية جديدة مع نظام يريد تخفيف العقوبات الأميركية التي تعيق اقتصاده المنهار.

والأكيد أن كل المؤشرات تصب نحو بقاء الشرق الأوسط في دائرة التوترات والصراعات لأن التطورات الأخيرة، بما فيها التطبيع العربي مع إسرائيل، تجعل من المنطقة ساحة لتصفية الحسابات السياسية والعسكرية والاستخباراتية والاقتصادية وغيرها.

ماذا عن المنطقة

منذ انسحاب الولايات المتحدة من خطة الاتفاق النووي، تصاعدت التوترات بين الولايات المتحدة وإيران، وبينما انتهجت إدارة ترامب استراتيجية "الضغط الأقصى" لجلب إيران إلى طاولة المفاوضات، بدأت طهران في انتهاك قيود خطة العمل الشاملة المشتركة على برنامجها النووي.

وصنفت واشنطن في أبريل من العام الماضي الحرس الثوري الإيراني منظمة إرهابية، وهي المرة الأولى التي صنفت فيها الولايات المتحدة جزءا من حكومة أخرى على هذا النحو. وبعد شهر منذ ذلك التاريخ أشارت معلومات استخباراتية إلى أن إيران وميليشياتها كانتا تستعدان لمهاجمة القوات الأميركية في العراق وسوريا وعليه نشرت واشنطن قاذفات B-52 بي52- ذات القدرة النووية، ومجموعة حاملة طائرات هجومية، وبطاريات صواريخ باتريوت إضافية في الشرق الأوسط.

وهذه مجرد أمثلة للتوترات بين البلدين، وهنا يلفت هاس في تحليل إحدى نقاطه الأربع الأنظار إلى أن إسرائيل في حالة حرب مع إيران، ولن يغير ذلك أي اتفاق نووي جديد أو تقارب بين الولايات المتحدة وإيران.

ويقول إن حرب إسرائيل مع إيران أكثر سخونة من الحرب الباردة من الطراز الأميركي-السوفييتي، لكنها ليست ساخنة مثل حريق واسع النطاق.

وتهدد إيران بتدمير إسرائيل، وتسعى وراء الأسلحة للقيام بذلك، وتسليح حلفائها الإرهابيين بأسلحة متطورة بشكل متزايد، وتسعى إلى وجود عسكري أقرب إلى حدود إسرائيل من خلال ترسيخها في سوريا.

في المقابل، إسرائيل تسعى لعرقلة مساعي إيران النووية باغتيال علمائها وتخريب منشآتها، وتقصف المنشآت العسكرية التي تبنيها إيران في سوريا وقوافل الأسلحة التي تنظمها.

وقد أثار بايدن غضب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو من خلال تعهده بالانضمام إلى خطة العمل الشاملة المشتركة، لكن إذا لم تستطع القدس أن تخبر واشنطن كيف تعالج قضية التطلعات النووية الإيرانية، فلا ينبغي لواشنطن أن تخبر إسرائيل كيف تحمي نفسها من دولة تسعى إلى تدميرها.

أما العامل الرابع الذي يجب أن يتفطن إليه بايدن ويضعه ضمن حسابات سياساته الخارجية المستقبلية هو أن قدرة إسرائيل على مهاجمة برنامج إيران النووي من داخل البلاد هي أحد الأصول التي يمكن للولايات المتحدة استغلالها على النحو الأمثل.

إيران وإسرائيل.. هل يتحول الصراع منخفض الحدة إلى مواجهة مفتوحة

لا تترك إسرائيل أيّ وسيلة تمكّنها من الحصول على معلومات تكنولوجية وعسكرية من حليفتها الولايات المتحدة، وفي ضوء ذلك فإن الحرب "منخفضة الحدة" التي أعلنتها تل أبيب بشكل غير رسمي على طهران في العام 2003 كانت لها نتائجها، وقد تتحول اليوم إلى مواجهة مفتوحة في الكواليس أكثر مما هو متوقع وربما لن تصل إلى حرب مباشرة كما يعتقد البعض.

لندن – بقدر ما تلقي حادثة اغتيال العالم النووي الإيراني محسن فخري زادة قبل أيام، في عملية تشير إلى بصمة جهاز الموساد الإسرائيلي بأنها أسلوب قديم تم اتباعه لردع طهران عن سياسات الاستفزاز النووي وردعها عن امتلاك سلاح نووي، بقدر ما تكشف أن أجهزة الأمن والاستخبارات الإيرانية عاجزة عن تتبع ما يحدث على الأراضي الإيرانية.

ورغم أن حياة فخري زادة كانت في الظل، فقد حددته الوكالة الدولية للطاقة الذرية في 2011 على أنه رئيس برنامج "آماد"، وهي خطة طويلة المدى نظمتها طهران قبل عشرين عاما، بهدف تحويل إيران إلى قوة نووية كاملة.

ويبدو أن هذا ليس مهما الآن إذا ما تم تقليب الصفحات القديمة في الصراع الخفي بين إيران وإسرائيل منذ سنوات طويلة، فقد اهتم الباحث الإيطالي والمتخصص في الشؤون الدولية جيانكارلو إليا فالوري بتتبع خيوط هذا التوتر اللامتناهي، مشيرا إلى إمكانية تحوله إلى مواجهة مفتوحة.

ويرى فالوري في تحليل نشر على موقع "موديرن دبلوماسي"، الأوروبي المتخصص في تناول ملفات السياسة الدولية أن هناك شواهد تظهر أن احتمال تطور التوتر بين إسرائيل وإيران وارد، ولكن ذلك سيحصل حين النظر إلى عوامل أساسية أشارت إليها الدوائر السياسية والاستخباراتية في تل أبيب.

وهذا الطرح يأتي مخالفا للكثير من الأطروحات، التي تقول إن إيران لن ترد الفعل حاليا لأكثر من سبب؛ أولا، إنها تنتظر السياسة الأميركية للرئيس المنتخب جو بايدن، وثانيا ربما يتحين المحافظون الذين قد يقفون أمام خطط للإصلاحيين في إيران حول هذا الملف المعقد، الفرصة من أجل الرد على إسرائيل ولكن بأدواتها المعروفة.

لا محرمات في الحرب

كانت إسرائيل قد تعرفت على فخري زادة قبل وقت طويل من تقنيي الأمم المتحدة وتحديدا في مايو 2003، فقد كشف نائب مدير الموساد، تامير باردو، لمديره، مئير داغان، ومديري عمليات المخابرات الإسرائيلية حينها عن أسرار، برنامج سري للغاية لوقف خطة "آماد"، المتمثلة في برنامج جاء نتيجة لأربعة أشهر من التجسس في إيران، بهدف إفشال مشاريعها النووية.

وبحسب مصادر إسرائيلية، أوجز باردو اقتراحه الاستراتيجي بالقول "في هذه الحالة، أمام إسرائيل ثلاثة خيارات: أولا، قهر إيران، ثانيا، تغيير النظام، وثالثا، إقناع السياسيين الإيرانيين بأن الثمن، الذي سيدفعونه لمواصلة البرنامج النووي سيكون باهظا لدرجة أنه من الأفضل لهم إيقافه".

واعتبر فالوري أنه بما أن كلا الخيارين الأول والثاني كانا غير واقعيين بشكل واضح، فقد شنت الحكومة الإسرائيلية "حربا منخفضة الحدة" ضد نظام آية الله على خامئني بهدف تحقيق الخيار الثالث.

وإلى جانب الإجراءات السياسية والدبلوماسية الهادفة إلى تحقيق العزلة الدولية للنظام الإيراني، عهدت إسرائيل إلى الموساد بمهمة دعم أنشطة الأقليات الإيرانية مثل الأكراد والجماعات المنظمة والمناهضة للنظام مثل مجاهدي خلق، وكذلك البدء في خطط لتخريب إنتاج المواد الانشطارية.

جيانكارلو إليا فالوري

إسرائيل لديها ثلاث خطط لكنها اختارت خيار ردع إيران

وقبل كل شيء، تم السماح بالقتل المستهدف والانتقائي لشخصيات رئيسية في برنامج آماد، وهم كبار العلماء في المشاريع النووية. وتمت مشاركة مشروع الموساد مع الولايات المتحدة، التي وافقت على اتخاذ كل من الجانب الدبلوماسي والسياسي من البرنامج وجزء كبير من تمويل مجموعات المعارضة لطهران.

وعلاوة على ذلك، خططت وكالة المخابرات المركزية والموساد معا لمجموعة واسعة من الهجمات الإلكترونية المصممة لتخريب تخصيب وإنتاج البلوتونيوم الإيراني.

وقد تم إطلاق عملية مشتركة تسمى "الألعاب الأولمبية"، والتي أدت إلى هجمات سيبرانية للأنظمة المحوسبة للمنشآت النووية الإيرانية بالفايروسات، مثل برنامج ستاكسنت، والتي أدت في العام 2009 إلى إيقاف جميع أجهزة الطرد المركزي المستخدمة لتخصيب اليورانيوم.

ووضعت إسرائيل قائمة من 15 شخصية رئيسية في برنامج "آماد" ليتم التخلص منها، وابتعدت الولايات المتحدة عن الخطط لاستهداف العلماء الإيرانيين لأن وكالة المخابرات المركزية الأميركية (سي.آي.أي) كانت تخشى التورط في عمليات غير قانونية بشكل واضح.

ومع ذلك، وكما اعترف مدير وكالة المخابرات المركزية آنذاك، مايكل هايدن، فإن استبعاد الفنيين يمكن أن يكون أداة أساسية لإحباط طموحات إيران النووية.

وخلال الاجتماع الأول لمجلس الأمن القومي في يناير 2009، بحضور أوباما آنذاك، قال هايدن حول المواد المخزنة في مختبرات نطنز "المسألة ليست كمية المواد الانشطارية، فلا توجد إلكترونات أو نيوترونات يمكن تحويلها لقنبلة نووية ما يبنونه هو المعرفة، وعندما تكون لديهم المعرفة فإنهم سيذهبون إلى مكان آخر لتخصيب اليورانيوم. هذه المعرفة مخزنة في أدمغة العلماء".